

تمهيد:

يطلق مصطلح الذكاء من أجل وصف كافة القدرات العقلية المختلفة في وظيفتها و المتناسقة في مجملها و هذه القدرات تختلف بين الأفراد. يوجد من العلماء من يقول أن الذكاء فطري و منهم من يقول أنه مكتسب، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحديد مفهوم محدد و معتمد للذكاء. يتم قياس الذكاء باستعمال أدوات تعتمد في جوهرها على مهارة التنظيم الإدراكي للفرد.

1- تعريف الذكاء:

وضع "ستودارد" في 2015 تعريفا حاول من خلاله اختصار كل ما كتب حول الذكاء خلال 40 سنة ماضية و هو كالتالي: "الذكاء يعني القدرة على القيام بنشاطات تتصف بالخصائص التالي: الصعوبة، التعقيد، التجريد، الاقتصاد و التكيف مع الظروف التي تتطلب تركيز الجهود و مقاومة القوى الانفعالية".

2- تطور مفهوم الذكاء:

لقد اقتصر مفهوم الذكاء لدى الباحثين قديما و لمدة طويلة على المجال المعرفي، الذي يشير الى مجموعة من القدرات المعرفية كالتهكير و الذاكرة و الإدراك و التي هي ضد الانفعال و العاطفة، هذه الأخير دورها التشويش و تعطيل المعرفة. بدأت هذه النظرة في التغيير مع بداية القرن 20، على يد العالمين "Galton" و "Binet". ارجع الأول الذكاء الى سلامة الوظائف الحسية الحركية كسرعة ردة الفعل و التناسق البصري الحركي، أما "بينيه" فقد اهتم بقياس الذكاء عن طريق معرفة معامل الذكاء العام. قام سبيرمان فقد قام باقتراح نظرية العاملين، العامل العام (هو الطاقة العقلية التي تؤثر على جميع أساليب البناء العقلي) و العامل الخاص (هو خاص بكل عملية عقلية على حدى). انتقد "ثورندايك" نظرية العاملين و وجود وحدة للعقل و قال بأن الذكاء عبارة عناصر مستقلة و منفصلة عن بعضها البعض، أهم هذه العناصر المجال الاجتماعي الذي يتمثل في القدرة على فهم و إدارة الآخرين. ظهرت في 1983 نظرية الذكاءات المتعددة لـ "Gardner"، الذي قسم الذكاء الى 8 أنواع و أشار الى أن الذكاء الشخصي (رقم 7 في نظريته) ينقسم بدوره الى نوعين هماك الذكاء بين الأفراد (يعني قدرة الفرد على فهم مشاعر الآخرين) و الذكاء داخل الأفراد (فهم المشاعر الذاتية و هو ما يسمى الآن الذكاء الوجداني). انطلقت بعدها الدراسات حول مفهوم الذكاء الوجداني و يرجع الفضل في انتشاره الى "ماير و سالوفي" و "قولمان" اللذان أكدا على أهمية الذكاء الوجداني (يسمى كذلك الانفعالي و العاطفي) في حياة الفرد.

3- تطور الذكاء في حياة الطفل و المراهق:

3-1 الذكاء في مرحلة الطفولة الأولى: يكتسب الرضيع مجموعة من المهارات الجسمية و الحركية، كالكسب الحركات العشوائية في الأشهر الأولى، التحكم في حركة الرأس و الرقبة في حوالي السنة، الزحف و المشي من 6 الى سنة و غيرها من المهارات الحركية. يكتسب كذلك المهارات اللغوية كنطق الكلمة في عمر 12 شهرا.

3-2 الذكاء في مرحلة الطفولة المبكرة: يكتسب الطفل القدرة على التفكير و الإدراك و حل المشكلات البسيطة، التعلم عن طريق الملاحظة و التقليد و تطوير المهارات الاجتماعية.

3-3 الذكاء في مرحلة الطفولة المتوسطة و المتأخرة: القدرة على التفكير الناقد و حل المشكلات بشكل أفضل، القدرة على الاستنتاج و المقارنة و فهم العلاقات السببية، إضافة الى بناء العلاقات المعقدة كالصداقة و مهارات التواصل الاجتماعي الفعال.

3-4 الذكاء في المراهقة: تطور مهارات التفكير الناقد و اتخاذ القرارات و تحليل المعلومة بشكل أعمق. يطور مفاهيمه الخاصة حول العدالة و الأخلاق و القيم و المعتقدات و طرق التواصل الاجتماعي.

4- العوامل المؤثرة على الذكاء عند الطفل و المراهق:

1-4 العوامل البيئية و التربوية: كالبينة المنزلية عن طريق توفير الدعم العاطفي و التحفيز النفسي و تعزيز التعلم و البيئة المدرسية عن طريق التشجيع على المشاركة في الأنشطة التعليمية و الاجتماعية.

2-4 الوراثة: عن طريق نقل الصفات العقلية بين الأجيال.

3-4 العوامل الثقافية و الاجتماعية: عن طريق القيم و المعتقدات.

5- تعزيز الذكاء عند الطفل و المراهق: يتم هذا عبر مايلي:

1- توفير بيئة تعليمية مناسبة: حسب "بياجيه" فان هذا يتيح للطفل و المراهقين التعامل مع محيطهم بشكل نشط.

2- تشجيع التعلم النشط: حسب "فيكوتسكي" حيث يتم تقديم تحديات تعليمية قريبة من مستوى فهم الطفل، يمكن استخدام تقنيات مثل "منطقة التطوير القريب".

3- تعزيز مهارات التفكير الناقد: كالتحليل و التقييم، الاستدلال و التحقيق و غيرها.

4- تعزيز الاهتمام بالقراءة و المعرفة من خلال الأنشطة الاجتماعية و التعليمية (بانديورا).

5- تعزيز الدعم الاجتماعي و الثقة بالنفس: من طرف الوالدين و الأهل و المعلمين و غيرهم.

3- خصائص الذكاء الوجداني عند الطفل و المراهق:

توصلت الكثير من الدراسات الى أن الذكاء الوجداني هو الأكثر تأثيرا في تحديد المسار النمائي بمختلف جوانبه عند الطفل و المراهق، حيث أثبتت دراسة "سوارت 2006" التي هدفت الى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الذكاء الوجداني و النجاح الأكاديمي لدى 448 طالب و قد أوجدت أن المجموعة الأكاديمية الناجحة قد سجلت درجات أعلى على مقياس الذكاء الوجداني مقارنة بالغير ناجحة، كما أشارت الى أن الذكاء الوجداني يمكن الاستدلال به كمؤشر للتنبؤ بالنجاح الأكاديمي. توصل "والتر ميشيل" من خلال تجربة على عينة من الأطفال (أطفال عمرهم 4 سنوات يتم وضعهم في غرفة لوحدهم و تنبيههم بعدم لمس أو أكل قطع من الحلوى توضع أمامهم) الى أن الأطفال الذين تحكموا في عواطفهم و لم ياكلوا الحلوى هم الأكثر تحقيقا لذواتهم و النجاح اجتماعيا و مهنيا.

يمكن اكتساب الذكاء الوجداني في أي مرحلة من مراحل العمر و لكن كلما تم اكتسابه في مراحل أولية كان أفضل، يتحدد اكتسابه بجموعة من الشروط و هي:

- طبيعة المعاملة الالدية للطفل.

- نوعية الخبرات الشخصية في مرحلة الطفولة.

- نوعية القيم و القوانين و الثقافة الاجتماعية.

- طبيعة مفهوم الذات عند الطفل و المراهق.

خلاصة:

يمكننا استخلاص أن طبيعة الذكاء عند الانسان تتشارك فيها عوامل معرفية و عاطفية معا، ليس مثلما كان معمولا به سابقا، كما للذكاء المعرفي دور في حياة الأفراد فللذكاء الوجداني دور كذلك في تحديد السمات الشخصية و الاجتماعية لفرد التي تمكنه من النمو التكيف مع المحيط و النجاح و منه تحقيق ذاته. يمكننا كذلك استخلاص مجموعة من الشروط التي تحدد نمو ذكاء عاطفي سليم عند الطفل أهمها: تلبية حاجات الطفل الأساسية المادية منها و العاطفية، توفير الرعاية و المعاملة الوالدية الحسنة، منح الطفل فرص الاختيار الصحيح لاحتياجاته و التعبير عن آرائه.